إعجاز القرآن في سلامته من الاختلاف والتناقض؛ نقد آراء المستشرقين المتوهمين بوجود التناقض في القرآن

السيد الدكتور عبدالكريم حسن‌پور

إيران مدينة قم المقدسة

The Miracle of the Quran in Its Consistency and Freedom from Contradiction: A Critique of the Misconceptions of Orientalists Alleging Contradictions in the Quran

Researcher: Mr. Dr. Abdul Karim Hassan Pour

Iran, Holy City of Qom

ملخص البحث

القرآن الكريم هو كلام لله عز وجل و معجزة خالدة على نبوة رسول الله. أحد جوانب إعجاز القرآن الذي لفت انتباه العلماء منذ بداية الإسلام حتى الآن هو عدم وجود التناقض فيه. في الوقت الحاضر، قد تحدى بعض المستشرقين هذا الجانب الإعجازي في القرآن وادعوا وجود اختلاف أو تناقض في بعض آياته. لمواجهة مثل هذا التحدي، يتعين أولاً تحديد المواضع التي اعتمدوا عليها بوصفها مواضع التناقض في القرآن، ثم الرد عليها بشكل علمي ومنهجي. اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي فى جمع مدعيات المستشرقين حول التناقضات في القرآن والنقدي في دراسة آرائهم و تقييمها ثم الرد عليها. بغض النظر عن دوافع المستشرقين في طرح ادعاء وجود اختلاف وتناقض في آيات القرآن، نقول إن مثل هذا الادعاء ينبع من عدم معرفتهم بمعاني الاختلاف والتناقض أولاً، و قلة معرفتهم بالقواعد التفسيرية ثانياً. لهذا السبب قد وقعوا في مواضع الاختلاف ما يتصور فيه تناقضٌ وهو ليس كذلك في الحقيقة. في هذا البحث، بعد تقديم تعريف دقيق للتناقض، وتوضيح قواعد التفسير في القرآن، أثبتنا أن ادعاء هؤلاء الأفراد لا يمتلك أي أساس علمي أو دليل منطقي، بل يقوم فقط على افتراضات خاطئة.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، الاختلاف، التناقض فى القرآن، المستشرقون،

Abstract

The Holy Qur'an is the word of Allah Almighty and an eternal miracle of the prophethood of the Messenger of God. One of the aspects of the miracle of the Qur'an that has drawn the attention of scholars since the beginning of Islam until now is the absence of contradiction in it. At present, some Orientalists have challenged this miraculous aspect of the Qur'an and claimed the existence of differences or contradictions in some of its verses. To meet such a challenge, it is necessary to first identify the places where they spot contradiction in the Qur'an, and then respond to them scientifically and methodically. The researcher relied on the inductive approach in collecting the claims of Orientalists about contradictions in the Qur'an and the critical approach in studying and evaluating their views, then responding to them. Regardless of the motives of the Orientalists in claiming the availability of contradictions in the verses of the Qur'an, we say that such a claim stems from, first, their lack of knowledge of the meanings of differences and contradictions, and, second, their lack of knowledge of the rules of interpretation. That is why they have fallen into positions of disagreement in what are perceived as contradictions. In this article, after providing a precise definition of contradiction and clarifying the rules of interpretation in the Quran, we have proven that the claim of these individuals has no scientific basis or logical evidence, but is based only on false assumptions.

Keywords: Miracle, Difference, Contradiction in the Quran, Orientalists,

١ – مقدمة

القرآن الكريم يُعدُّ أهم مصدر لفهم الإسلام، حيث أن الله سبحانه أنزله إلى خاتم أنبيائه و جعله معجزة خالدة إثباتاً لرسالته الإلهية و دليلا على تصديق نبوته. الذي يشمل اعجازه جوانب مختلفة ومنها عدم الخلاف والتناقض في آياته الذى صرح عليه و قد جعل محل إهتمام العلماء من بداية الإسلام حتى الآن قديما و حديثا. بعض المستشرقين (گلدزيهر، يوسف درة حداد، تئودورد نولدكه، هرشفلد، ريپين و آرتور جفرى، ريون فاير استون، اسنوگ هكرونى و ونسنگ) المعارضين للفكر الإسلامى بالاستناد إلى بعض آيات القرآن، قاموا بتحدي هذا الجانب الإعجازي للقرآن الكريم، وشككوا في التناسق الداخلي للآيات للقرآنية مدعين أن بعض آيات القرآنية تتناقض بعضها. فمن الواضح أنه في حال ثبوت ادعاء وجود التناقض في القرآن، فيفتح الطريق إلى إنكار إلهية القرآن، وبالتالي فقدان حجيته، وفي النهاية يمكن أن يؤدي ذلك إلى إنكار نبوة النبي الأكرم.؛ لذا يجب أن تُجرى دراسة لرفض هذا الادعاء وهو ما يسعى هذا المقال إلى تحقيقه بدراسة الأسباب الموهمة التناقض والوصول إلى جذور المزاعم التي يتم نشرها من قبل المستشرقين، و من ثم الرد عليها.

٢. بيان المفاهيم

١-٢. الإعجاز

الإعجاز يأتي من جذور العجز، وفي المعنى اللغوي يعني العجز عن القدرة. (ابن فارس، ١٤٠٤هـ، ص ٢٣٢) في الإصطلاح، هو أمر غير عادي يأتي مع التحدي وعدم المعارضة. (الطريحي، ١٣٧٥ش، ج ٤، ص ٢٥؛ قوشجي، بلا تاريخ، ٤٦٥) وبتعريف أدق، الإعجاز هو أمر خارق العادة يأتي كدليل على صدق الادعاء، يتم تقديمه من قبل شخص يدعى منصباً أو مقاماً

إلهياً. (الخوئي، ١٤٠١هـ، ص ٣٣ (على هذا الأساس، يكون الإعجاز عندما يأتي مع ادعاء مقام إلهي مثل النبوة أو الإمامة.؛ لذا الأمور الخارقة للعادة التي تصدر من بعض أولياء الله دون ادعاء النبوة أو ليست إعجازاً. كما أن الإعجاز يكون صادقًا وموثوقًا عندما يكون الآخرون عاجزين عن إحضار مثله، ويكون هذا الإعجاز غير قابل للمعارضة. بالإضافة إلى أن شرط دلالة الإعجاز هو تطابق فعل الشخص المدعي مع ادعائه. (سبحاني، ١٤٢٨هـ، ج ٥، ص ٢٦١)

٢-٢. الإختلاف

الإختلاف على وزن افْتِعَال، قال الراغب في معناه اللغوي هو ضد الاتفاق: "الخلاف والاختلاف في اللغة ضد الاتفاق، وهو أعمُّ من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"

يقول ابن قتيبة: «الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ. واختلاف التغاير جائز». (تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ١٧٣)

والمقصود فى تنزيه كلام الله عن الاختلاف، هو الاختلاف الذي يؤدي وينتهي إلى التناقض إذ الاختلاف أنواع:

- الأول: اختلاف تتغاير فيه الألفاظ والمعنى واحد.
- الثاني: اختلاف تتغاير فيه المعاني، لكنه تغاير تنوع لا يؤدي إلى تناقض المعنى وفساده.
- الثالث: اختلاف تتغاير فيه المعاني ولا يمكن الجمع بينها من كل الوجوه وهو التناقض. و هذا النوع هو الذي لا يجوز في كلام الله عز وجل إلا فيما يكون ناسخا ومنسوخا.

٣-٢. التناقض

وهو في اللغة: «كون شيئين ينقض كل واحد منهما الآخر» وفي الاصطلاح: «اختلاف قضيتين في الكيف -أعني السلب والإيجاب- على وجه يلزم منه أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة"، فإن كذبتا معًا أو صدقتا معا فلا تناقض.»

يقول الراغب: "إن الخبرين اللذين أحدهما نفي والآخر إثبات إنما يتناقضان إذا استويا في الخبر والمخبر عنه، وفي المتعلق بهما، وفي الزمان والمكان، وفي الحقيقة والمجاز، فأما إذا اختلفا في واحد من ذلك فليسا بمتناقضين".(مقدمة جامع التفاسير، الراغب الأصفهاني، ص ٦٩.)

فالتناقض المقصود دفعه عن القرآن هو التناقض من جميع الجهات، إذ كل كلامين المتناقضين ظاهراً، إذا يمكن رفع تناقضهما بوجه من وجوه التأويل أو بإضافة قيد من قيود الزمان أو المكان أو الحالة فليسا متناقضين، وإنما المتناقضان ما تضادا من كل جهة. مثل أن يقال: شرب زيد ولم يشرب زيد، ويقصد بالأول زيد الشاعر وبالثاني زيد التاجر، فالفاعل في الخبرين ليس شخصاً واحداً، حتى وإن كان واحداً فقد لا يكون الخبران متناقضين إذا أراد المتكلم في كل خبر مفعولا غير الآخر. نحو أن تقول شرب زيد الماء ولم يأكل زيد العصير، وقد لا يتناقضان حتى بوحدة الفاعل والمفعول إذا قصد من كل خبر حالا غير الآخر، نحو أن تقول شرب زيد الماء قاعدا ولم يشرب زيد الماء قائما، وهكذا إذا أضفنا للخبر زماناً، أو مكانا، أو آلة. أو غير ذلك من الجهات، فالتناقض إنما يكون عند الاختلاف من كل الجهات وهو ما يسمى استحكام الجهة، أما إن حل الاختلاف ولو من جهة فليس هنالك تناقض وهو ما يسمى بانفكاك الجهة.

٣. شبهات المستشرقين بخصوص وجود التناقض في القرآن والرد عليها

١-٣. إختلاف القراءات القرآنية يدل على وجود الإختلاف فى القرآن

يقول المستشرق جولدزيهر: «فيما بين الكتب المقدسة، لا يمكن العثور على كتاب مثل القرآن الذي يعاني من الاضطراب وعدم الثبات من حيث النص والمتن، ولم يأت أبدًا خلال الفترة الأولى من تاريخ الإسلام فكرة تقديم القرآن بنص ومتن موحد» (جولدسيهر، ١٤١٣ هـ: ٤). يوسف دره حداد (١٩١٣-١٩٧٩م.)

يكتب الكاهن المسيحي المعاصر: «كان هذا القرآن في عهد النبي العربي يُقرأ على سبعة أحرف، واتفق معظم المسلمين عليه، ويستنتجون منه الاختلاف في الألفاظ والاتفاق في المعاني، وهذا بحد ذاته يدل على عدم صحة تنزيل القرآن وإثبات أنواع التناقضات فيه» (انظر؛ دره حداد، ١٩٨٢م.: ٣٠٧)

الرد على الشبهة

هذه الشبهة القديمة التي أظهرها المستشرق جولدسيهر، متكونة من شقين: الأول: إن اختلاف القراءات يدل على وجود الاضطراب في النص القرآني. والثاني: ويتعارض مع ما جاء في القرآن من عدم وجود اختلاف فيه.

بشكل عام، نعترف بوجود قراءات متعددة. ومن ناحية أخرى، نعترف أيضاً بأنه إذا تم تواتر هذه القراءات و كونها قرآنية ومقبولة لدى المسلمين، سيؤدى الى اثبات وجود الاختلاف والإضطراب في القرآن. سنطرق الموضوع فيما يلي:

في دراسة التاريخ يُلاحَظ أن بعد وفاة النبي الكريم، ظهرت قراءات جديدة من بعض الصحابة الذين كانوا معروفين بقراءتهم المعتمدة والمشهورة في القرآن، وانتشرت بين الناس، وأحيانًا تُعرف باسم قارئها.

والجهود المبذولة نحو توحيد

المصاحف، التي كانت تبدأ بهدف توحيد القراءات (انظر: الزركشي، ١٤٠٨هـ: ج ١: ٢٩٨ والسيوطي، بلا تاريخ: ج١: ٢١١)، تفشلت لأسباب عدة، منها كون المصاحف غير منقوطة، وعدم الحركات واختلاف اللهجات. (انظر: المعرفة، ١٤١١هـ، ج ٢: ٤٠)

مع انتشار الإسلام في مناطق مختلفة وزيادة توجه الناس المتزايد إلى الإسلام وتزايد النشاط في تعليم وتعلم القرآن بينهم، تتزايد حدة اختلاف القراءات، وتظهر قراءات أخرى مثل القراءات السبعة والعشرة (انظر: الخويي، ١٤١٨هـ: ١٢٥ والذهبي، ١٤٠٨هـ: ٤٢)

في بداية القرن الرابع، أحمد بن مجاهد (توفي عام ٣٢٤ هـ) أغلق باب الاجتهاد في القراءات واختار سبع قراءات من بين القراءات الموجودة. مع ذلك هذه الرواية ليست مقبولة عند الشيعة الإمامية والعديد من علماء أهل السنة لأنه:

اولاً: كان عثمان يهدف من توحيد المصاحف إلى توحيد القراءات، حيث أراد أن يجمع الناس على قراءة واحدة ويسد باب الإختلاف في القراءات، ولكن لم يعارضه أحد، على الرغم من أنه إذا كانت رواية السبعة أحرف صحيحة أو تعني القراءات السبعة، لكان من الضروري أن يعترض عليه صحابة الرسول(ص)، خاصة أمير المؤمنين عليه السلام، ويحتجوا على رواية السبعة أحرف، في حين أن الإمام عليه السلام لم يعارض فحسب، بل وافق على عمله فى توحيد المصاحف. (مرتضى العاملى،١٤١٠ق.: ١٨١).

ثانيا: أنكر الإمام الباقر (عليه السلام) والإمام الصادق (عليه السلام) فكرة نزول القرآن على سبعة حروف، مشددين على أن القرآن نزل بحرف واحد: «زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(ع) قَالَ إِنَّ الْقرآن وَاحِدٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ وَ

لَكِنَّ الِاخْتِلَافَ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ» (الكليني، ١٣٦٥، ج ٢: ٦٣٠).

و يقول الشيخ الطوسي: «وَاعلَمُوا أَنَّ العُرفَ مِن مَذهَبِ أَصحَابِنَا وَ الشَّائِعِ مِن أَخبَارِهِم وَ رِوَايَاتِهِم أَنَّ القُرآنَ نَزَلَ بِحَرفٍ وَاحِدٍ عَلَى نَبِيٍّ وَاحِدٍ» (الطوسي، ١٤٠٩ق.، ج ١: ٧ و المجلسي، ١٣٧٦، ج ٨٩: ٤٨).

ويقول المقدسي (متوفّى ٦٦٥م): إن بعض الناس الذين لا يمتلكون اختصاصاً في علم القراءة، قد افترضوا أن قراءة كل واحد من القراء السبعة هي نفسها التي ذكرها النبي الأكرم (ص) في حديث «أُنْزِلَ القُرآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف»، وكل واحدة من هذه القراءات، تمثل حرفًا من الأحرف السبعة. من ينسب هذا الأمر إلى ابن مجاهد، فقد ارتكب خطأً. (المقدّسي، ١٣٩٥ق.، ج ١: ١٢)

ثالثا: نظرًا إلى إتفاق المسلمين على أن ثبوت القرآن يكمن في التواتر (الخويى، ١٤١٨ هـ: ١٢٣ و الزرقانى، ١٤٠٨ هـ، ج ١: ٤٣٣)، والمتواتر هو القرآن نفسه، وأما القراءات السبعة أو العشرة هي أخبار آحاد أو اجتهاد القراء، وليست متواترة (الخويى، ١٤١٨ق.: ١٢٣؛ معرفة، ١٤١١ق.، ج٢: ٤١ و مرتضى العاملى،١٤١٠ق.: ١٦٧)

فلا يمكن اعتبار اختلاف القراءات دليلاً على إثبات وجود الاختلاف في القرآن. (الاندلسي، ١٣٩٥ هـ، ج ٣: ٧٢٦؛ القرطبي، ٢٠٠٦ م، ج ٥: ٢٩٠؛ الزحيلي، ١٤١٨ هـ، ج ٥: ١٧٤ وصدرا الشيرازي، ١٣٦٦، ج ٢: ١٣١)

رابعاً: يقول علماء أهل السنة في هذا المقام، إن القرآن والقراءات هما حقيقتان متميزتان؛ فالقرآن هو الوحي المنزل على النبي الأكرم (ص) تبياناً للشريعة والأحكام الإلهية، بينما القراءات هي اختلاف في الألفاظ

من الوحي في كتابة الحروف وكيفية تلاوتها. (الزركشى، ١٣٩١، ج ١: ٣٩٦؛ صالح، ١٩٦٨ق.: ١٥٨ و الزرقانى، ١٤٠٨ ق.، ج ١: ٣٤٠).

فملخص الكلام أنه لا يمكن اعتبار اختلاف القراءات كتعارض في القرآن ولا يمكن اعتبار اختلاف قراءتين كتعارض بين الآيتين. والادّعاء الثاني للمستشرق جولدسيهر الذي قال فيه أن المسلمين لم يرغبوا أبدا في إتفاق على نص واحد من القرآن، غير صحيح، بل التاريخ يثبت عكس ذلك. لأنه تم توحيد المصاحف في عهد عثمان، وطباعة ونشر قراءة حفص عن عاصم في جميع أنحاء العالم الإسلامي على مدى سنوات متتالية، تعتبر شاهداً على خطأ قوله في هذا الشأن.

٢-٣.عدم التناسق في بنية الآيات والسور المكية والمدنية

إذا لم يتوقف المستشرقون عن الهجوم على القرآن الكريم، يبحثون عن ما يعتقدون أنه تناقض أو إختلاف في القرآن، أحد الشبهات التي طرحها بعض المستشرقين بهذا الشأن هو عدم التناسق في بنية الآيات والسور المكية والمدنية. ويدعّون إن الأسلوب والمنهج والمحتوى في هذين النوعين من السور والآيات لا يشابه بعضها بعضاً، ويظهر العديد من التباينات والتناقضات فيها.

يقول المستشرق تيودور نولدكه: "الوحي المدني، سواء أكانت آيات كاملة أم مقاطع محددة تم إنضمامها إلى السور المكية، من حيث المضمون والمحتوى يختلف تماما عن الوحي النازل في مكة" (نولدكه، ٢٠٠٤م: ٤٩). وفي موضع آخر يقول: «إنه وصف أسلوب السور المكية بأنه قاسي، عنيف، مصاحب للتهديد والترهيب، في حين يصف السور المدنية بسمات مثل اللطف، والرقة، والرحمة» (انظر: نفس المرجع:

٦٠)

يكتب المستشرق هيرشفيلد أيضًا: «يعزو اختلافات الوحي المكي والمدني إلى تحول يحدث في مؤلف القرآن» (Hirschfeld، ١٩٠٢: ١٠٢)

ويكتب في موضع آخر من كتابه: «الاختلاف في قصر الآيات والسور المكية، وطول الآيات والسور المدنية، وكذلك الاختلاف والتضاد في لغة المواجهة مع الكفار، يعني أن الآيات والسور المكية مع غلظة وقسوة وشتم للمشركين، على عكس الآيات والسور المدنية التي لا تحمل مثل هذه السمات. إن الآيات المكية قد صيغت بأسلوب شعري ورنان، والقسم بأمور حسية مثل قسم بالشمس والليل والنهار، بينما الآيات المدنية لا تحمل مثل هذا النوع من التفاصيل. وتتمتع الآيات والسور المكية بالبلاغة والفصاحة أكثر من السور المدنية إلى حد يجعل الآيات والسور المدنية في بعض الأحيان تكون على مستوى النثر العادي، في حين الآيات والسور المكية متضمنة للإيجاز والتقصير، وتكون الآيات والسور المدنية تتضمن الإطناب والتفصيل» (نفس المرجع: ١٤٠)

الرد على الشبهة

أولاً، على الرغم من أن علماء علوم القرآن قد وضعوا خصائص للآيات والسور المكية والمدنية، إلا أن هذه الخصائص تعدُّ من نوع الخصائص الشائعة في أغلب الآيات والسور المكية والمدنية، ولا إلى جميع الآيات والسور على الإطلاق. فحجتهم هذه عارية من الصحة والقيمة علمية لأن بعض الآيات المدنية تمتاز بالقصر والشدة والعنف مثل قوله تعالى في الآية رقم 24 من سورة البقرة المدنية: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ﴾ أيضا قوله تعالى في الآية رقم ٢٧٩ من السورة نفسها البقرة المدنية: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وكذلك قوله تعالى في الآية العاشرة من سورة آل عمران المدنية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ و ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وسورة التوبة هي مثال آخر من السور المدنية التي يتميز لحنها الشديدة والعنيفة في آياتها الأولى مما جعلها تختلف عن السور الأخرى بأنها لا تبدأ بعبارة «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

كما هناك في الآيات المكية طابع السماحة واللطف مثل قوله تعالى فى الآية ٥٤ من سورة الزمر المكية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ و ما جاء فى الآية رقم ١١٤ من سورة هود: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

وإدعائهم بشأن خصوصية قصر السور المكية وطول السور المدنية أيضاً غير مقبولة، لأن هناك العديد من موارد النقض لها في القرآن، مثل سور النصر، والزلزال، والبينة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم التي هي من السور المدنية، لكن من حيث القصر، والإيجاز ووجود القسم بالأمور الحسية فيها، تشبه بالسور القصيرة المكية، ومن ناحية أخرى، فإن السور المكية مثل سور الأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، التي تكون مفصلة وطويلة مثل سور المدنية.

وجدير بالذكر وفقًا لقواعد علم البلاغة، فإن قصر وطول الآيات والسور، وشدة اللفظ ونعومته، وإيجاز الكلام أو تطويله و... تعدُّ جوانب من المظاهر الأدبية وإعجاز الكلام التي

تنطوي على تأثيراتها بالسامع حسب الحاجة والظروف تتغير بين التحفيز والتخويف، والوعد والوعيد، والشدة واللين. فإن اعتبار المشككين ببعض هذه النقاط عيوبًا في الكلام وبعضها الآخر فوائد، واستنتاجهم للاختلاف بمقارنة آيات وسور مكية ومدنية، هو باطل في الأساس.

ولكن عندما يصفون النبي(ص) كمؤلف للقرآن، نرد عليهم بأنه إذا كان القرآن من تأليف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلماذا يوجد اختلاف واضح بين آيات القرآن وأحاديث النبوية؟ ومن ناحية أخرى، إذا كان القرآن من تأليف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمن المفترض أن يتمكن الأدباء والكُتّاب والمتحدثون العرب، من تقديم شيء مماثل له. ولم يحدث أبدًا، ودعاهم القرآن في هذا الصدد إلى التحدي والمنافسة فى قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/ ٨٨).

بالنظر فيما تم ذكره في الفقرات السابقة، نتوصل إلى أنه، بشكل عام، لا يوجد تناقض بين الآيات المكية والمدنية.

٣-٣. تعارض بين آيات الغرق الفرعون ونجاته

قصة خروج بني إسرائيل من مصر ومطاردة فرعون وجنوده ونهايتهم، جميعها ذكرت في القرآن، ولكن اعتبرَ المستشرق جولدسيهر القرآن متناقضاً فى حديثه عن نهاية فرعون.

أَخبر القرآن أَنَّ اللهَ أَغرق فرعون في الماءِ بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ وأَخبر القرآن أَنَّ الله أَنجى فرعون من الغرق؛ كما فهمَ

المستشرق جولدسيهر من قول الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾

يقول جولدسيهر: «هناك تناقض بين الآيات القرآنية التى تتحدث عن نهاية فرعون. جاء فى سورة القصص: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ» وأيضاً في سورة الأسراء: «فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ هاتان الآيتان تدلان على غرق فرعون و جنوده، ولكن ما جاء في سورة يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يدل على نجاته من الغرق»

ويطرح شبهة أخرى وهي: «كيف قبل الله توبة فرعون في أخر لحظات حياته وأنقذه من الغرق"، في حين يقول في آية أخرى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾» (جولدسيهر، ١٩٩٢م.: ٧٠).

الرد على الشبهة

إن موضوع غرق فرعون وأتباعه أثناء مطاردة موسى وأصحابه يعدُّ واحدًا من الموضوعات المشتركة بين القرآن والعهدين. (انظر: سفر الخروج، ١٤:٢٦-٢٩ وسفر المزامير، ١٥:١٣٦ وسورة الزخرف، ٥٥ وسورة الإسراء، ١٠٣ وسورة القصص، ٤٠)

وأما فيما يتعلق بآية ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ الذي يشير إلى نجاة فرعون من الغرق، ليس بمعنى انقاذه من الغرق و إخراجه حياً من تحت الماء. بل المقصود هو أن الله أنقذ جثمانه من الماء بسلام بعد خروج روحه كجثة هامدة، ولم يتركه أن يسقط في الماء إلى قاع البحر، وأن يجعله طَعاماً لحيتانِ البحرِ وأَسْماكِه أو يتعفن. وإنما أنقذ بدنه الهامد وألقاه على الشاطئ، كى يكون آيةً للأَحياء من جنودِه وقومِه أَنْ يتعظوا و يعتبروا بذلك. وهذا

القول ينسب إلى معظم المفسرين (انظر: مكارم الشيرازي وآخرون، ١٣٧٤، المجلد ٨: ٣٧٧). كما يكتب الفخر الرازي: ﴿نُنَجِّي بِبَدَنِكَ﴾، وهذا يعني أننا أنقذناك من قعر البحر وأعددناك إلى مكان مرتفع، في حين أن الروح غير موجودة في جسدك (فخر الرازى، ١٤٢٠ ق.، ج ٨: ٣٤٢).

وعلى هذا الأساس نعرف أن القرآن لم يخطئ فى بيانه عن نهاية فرعون، وليس أى تناقض في الآيات بشأن الموضوع، بل إلتقت هذه الآيات على تقرير موتِ فرعون غرقاً كحقيقة، والاحتفاظِ بجثمانه، لتكونَ آيةً للآخرين.

بناءً على ما تم ذكره، في الآية ٩٢ من سورة يونس، لم تطرح أي كلمة بشأن قبول توبة فرعون ونجاته، فضلا عن أن يتم ادعاء وجود تناقض بين هذه الآية وآية ١٨ من سورة النساء.

٤-٣. التعارض في تسمية مريم بأخت هارون

من الشبهات التي طرحت منذ نزول الوحي وقدمها بعض مخالفى القرآن، والتي يشير إليها المستشرقون اليوم باعتبارها تناقضا في القرآن؛ وهي تسمية مريم بأخت هارون فى آية (٢٨) من سورة مريم التي تقول: ﴿يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾. وقد كتب ريبين في موسوعة القرآن، مشيرًا إلى هذه الآية: "القرآن يعتبر بشكل خاطئ ومغلوط مريم أخت هارون، بينما كان هارون قد مات منذ قرون قبل ميلاد مريم" (مكاوليف، ٢٠٠١، المجلد ١: ٢)

والمستشرق آرثر جفري أيضًا يوصف آيات القرآن المتعلقة بـ «عمران»، «مريم»، و«هارون» بأنها متناقضة ومتعارضة، ويكتب: «في آيات ٣٣ و ٣٥ من سورة آل عمران والآية ١٢ من سورة التحريم نجد

أنفسنا أمام تداخل قصة مريم، 'أخت النبي موسى وهارون'، ومريم، 'أم النبي عيسى'" (جفري، ١٣٧٢: ٣١٨)

الرد على الشبهة

ما يفهم من سياق الآيات هو أن تسمية مريم بـ «أخت هارون»، ليست تسمية قرآنية بل هى حكاية لما قاله قومها لها، وما نادوها وخاطبوها به عندما حملت بإبنها عيسى عليه السلام، عندما استنكروا هذا الحمل، واتهموها فى شرفها وعرضها وعفافها.. فقالوا لها: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا - يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ فلماذا نسبها قومها إلى هارون ؟

يختلف المفسرون فى السبب لهذه التسمية و النسبة:

اولاً: فمنهم من يقول إن هارون ـ المشار إليه ـ كان رجلاً فاسقًا، اشتهر بفسقه، فنسبها قومها إليه، إعلانًا عن إدانتهم لها. أو من يقول كان هارون رجلاً معروفاً بالصلاح والعفة. لكن نسبها قومها إلى هذا الشخص تعريضاً على ما فعلت و سخرية منها، وتهكماً عليها، واستهزءوا بدعواها للصلاح والتقوى والتبتل في العبادة، في حين اعتبروها - في رأيهم - مرتكبة للجريمة. انظر فى ذلك (قصص الأنبياء، ص ٣٨٣، ٣٨٤؛ الجامع لأحكام القرآن، ج١١ ص ١٠٠، ١٠١؛ الكشاف، ج٢ ص ٥٠٨)

ويقول بعض المفسرين إنه كان لمريم أخ من أبيها اسمه هارون وكان من صلحاء بنى إسرائيل فنسبوها إليه. (فخر الرازى، ١٤٢٠ق.، ج ١١: ٣٧١؛ الطبرى، ١٤١٢ق.، ج ٤: ٩٨٦ و الطبرسى، ١٣٧٩، ج ٦: ٧٩١).

كتب عبد الرحمن بدوي: «رغم أن هذا الاحتمال ليس مستحيلاً، ولم يأت في أي وثيقة أخرى، لكن ما

المشكل إذا كانت لدى مريم ـ والدة عيسى ـ أخ بإسم هارون؟ فى حين إن هارون هو أحد الأسماء الشائعة بين اليهود وكان أحدهم أخاً لمريم الذي كان رجلاً تقياً ونافعاً» (بدوي، ١٣٨٨: ٢٤٧)

ثانياً: هناك وجهة نظر أخرى تقول إن السيدة مريم (عليها السلام) ـ والدة عيسى عليهما السلام ـ تنتمي من جهة الأم إلى عائلة الكهنة، الذين هم من نسل هارون. (انظر: السيوطي، ١٤٠٦هـ، ج ٤: ٢٧٠؛ الكاشاني، ١٣٦٦هـ، ج ٥: ٣٩١؛ والخزائي النيشابوري، ١٤١٦هـ، ج ١٣: ٥٢؛ الطبرسى، ١٣٧٩، ج ٦: ٧٩١)، و كما ورد في الإنجيل: "في أيام هيرودس ملك اليهودية كان هناك كاهنٌ اسمه زكريا من فئة أبيا، وامرأته كانت من عائلة هارون، واسمها إليزابت» (لوقا، ١: ٥ـ٧). بناءً على هذا الرأي، يُفسَّر معنى التعبير «يا أخت هارون» بأنه: «أيتها الشخص الذي تنتمي إلى نسل هارون»

بالإضافة إلى ذلك، نرى في القرآن الكريم، يُطلق على الأنبياء لقب «أخاهم» في بعض الأحيان، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (هود/ ٥٠)، والذي يعد أن هوداً كان من أحد أفراد قبيلة عاد ويُعتبر واحداً منهم. وتم استخدام هذا التعبير أيضًا فيما يتعلق بالنبي صالح ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ (هود/ ٦١) والنبي شعيب ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (هود/ ٨٤)

ذكر علامة الطباطبائي تحت آية ٢٨ من سورة مريم حديثًا عن المغيرة بن شعبة: «بعَثني رسولُ الله (ص) إلى نَجْرانَ فقال لي أهلُ نَجْرانَ: أَلَسْتُم تقرَؤُون هذه الآيةَ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ وقد عرَفْتُم ما بيْنَ موسى وعيسى؟ فلم أَدْرِ ما أَرُدُّ عليهم حتَّى

قدِمْتُ المدينةَ على رسولِ الله(ص) فذكَرْتُ ذلك له فقال لي : أفلا أخبَرْتَهم أنَّهم كانوا يُسمُّونَ بالأنبياءِ والصَّالحينَ قبْلَهم ؟» "(الطباطبائي، ١٣٩٧ هـ، المجلد ١٤: ٧٥)

بناءً على هذا الحديث الذي نقله المفسرون (انظر: سيوطي، ١٤٠٦ هـ، المجلد ٥: ٥٠٤ و الطبرسي، ١٣٧٩ هـ، المجلد ٦: ٥١٢)، فإن مضمون الآية يشير إلى هذا الموضوع: يا ابنة التي كان المتوقع عنك النقاء والطهارة، فإن والديك لم يكونا سيئين ولا يزالان كذلك، فلماذا ارتكبت هذا الفعل السيء؟ لذا دعيت مريم بوصفها أخت هارون، لتنال صفة النقاء والزهد، لأن الناس الصالحين من قوم هارون كانوا ينتمون اليه. وقد نقل الطبري هذا الرأي عن حسن البصري أيضًا (انظر: الطبري، ١٤١٢ هـ، المجلد ١٦: ٥٩) نتيجة القول هو أنه لا يوجد تناقض أو تعارض بين الآيات التي تتحدث عن مريم وهارون وعمران، وكل واحد منهم كانت له شخصية مستقلة في زمانه.

٥-٣. التناقض في بشارة لإبراهيم(ع)

ريون فايرستون في مقالة «إبراهيم» في موسوعة قرآن لايدن، يناقش الآيات التي تبشر ابراهيم بإنجاب الولد، والتي تبدو متناقضة، ويكتب: «في بعض الآيات من جانب الله يُبشّر إبراهيم بأنه سيصبح والدًا لابن، ولكن لا يُذكر اسم هذا الابن ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات/ ٢٨). وفي آية أخرى، يُذكر اسم هذا الابن، وهو «إسحاق» ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات ١١٢). وفي بعض الآيات، تم ذكر إسحاق ويعقوب معًا كأنهما كانا ابنين لإبراهيم، في حين أن إبراهيم كان لديه ابنان فقط وكانا إسحاق وإسماعيل. فلذا، نرى هذه الآيات متناقضه و غير متوافقة (جين دامن، ٢٠٠١، المجلد

١: ٥-١٠)

الرد على الشبهة

أولاً، لم يولي فاير ستون اهتمامًا بالمبدأ الأساسي لـ «جمع بين المطلق والمقيد»؛ لأنه وفقًا لهذا المبدأ، لا يوجد مانع لله في إعطاء إبراهيم (ع) بشارة بولادة الطفل بشكل مطلق في آية وذكر اسم هذا الطفل في آية أخرى.

ثانياً، كانت ولادة النبي يعقوب، الذي كان ابن إسحاق، بشارة للنبي إبراهيم، ولا يوجد أي تناقض في الآيات القرآنية حول هذا الموضوع. يقول الله في سورة الأنبياء: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾

ثالثاً، قد أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام بشارتين، الأولى في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات/ ١٠١). ومن الواضح أن المقصود بـ «غُلامٍ حَلِيمٍ» هنا ليس إسحاق؛ لأنه تعالى في الآية اللاحقة بشّره بشارة ثانية صريحة بولادة إسحاق في قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الصافات/ ١١٢)

رابعًا، في هاتين البشارتين، استخدم القرآن الكريم أسلوبين مختلفين تمامًا، مما يمنع وجود أي تناقض عند دراسة كل منهما بدقة كما يلي:

١. عبرّ عن إسحاق بـ «غُلَامٍ عَلِيمٍ» (انظر: الحجر/ ٥٣ و الذاريات/ ٢٨)، وعبر عن إسماعيل بـ"غُلَامٍ حَلِيمٍ".

٢. جاءت بشارة ولادة إسحاق إلى جانب قصة عذاب قوم لوط، والمبشرون هم نفس الملائكة المكلفة بعذاب قوم لوط. ولكن ذُكرت بشارة ولادة إسماعيل في موضع واحد، حيث يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(الصّافات/ ١٠٠)، وهذه الآية ليس لها أي ارتباط بقصة قوم لوط، والمبشر هو الله.

٣-٦. التعارض بين الآيات المكية والمدنية في تعريف إبراهيم(ع)

ذكر المستشرق آسنوك هغروني في دائرة المعارف الإسلامية أن النبي إبراهيم (عليه السلام) قد وُصِفَ في آيات سور مكية بطريقة، وفي سور مدنية بطريقة أخرى، مما يُظهر التناقض بين هذه الآيات. وهو يكتب: «في أولى الآيات النازلة، لم يُعرَّف إبراهيم سوى كونه نبياً إلهياً مثل سائر الأنبياء، ولم يُذكر أي حديث عن صلة نسبية بينه و بين اسماعيل، بل تم التأكيد على أن العرب في جزيرة العرب لم يكن لديهم أيُّ نبي. حتى في هذه الآيات (انظر: الذاريات/ ٢٤ وما بعدها؛ الحجر/ ٥ وما بعده؛ الأنعام/ ٧٤؛ هود/ ٧٢ وما بعده؛ ومريم/ ٤٢ وما بعدها)، لم يُطرَح الحديث عن بناء بيت الله الحرام على يد إبراهيم، ولم يُسَمَّيه كأوّل مسلم. ولكن في السور المدنية، تتغير صورة إبراهيم (عليه السلام)، ويُعرَّف باسم «حنيف» و«مسلم»، ويبني هو وابنه إسماعيل أسس بيت الله الحرام. (Encyclopedia of Islam، ١٩٩٤، Vol. ١: ٢٧).

والمستشرق فنسنغ، مؤيّدًا لكلام هيغروني، قدّم تحليلًا للاختلاف بين الآيات المكية و المدينة في شخصية النبي إبراهيم عليه السلام، ويكتب: «كان محمد في مكة يعتمد ويتكلَّ على اليهود، لكن عندما تحولت اليهود إلى عداوة معه، اضطر إلى اختيار داعم وملجأ خارج اليهود. ولهذا، قام برسم هوية مستقلة لإبراهيم، التي تعبر عنه كمؤسس العرب، بمعزل عن اليهودية السائدة. وقدم صورة جديدة لدين إبراهيم بطريقة تمهد خلفية ظهور الإسلام» (نفس المصدر)

الرد على الشبهة

إبراهيم (عليه السلام) في القرآن من أعظم الأنبياء الإلهيين، وهو موحد خالص، مسلم مطيع لله وشاكر له (انظر: النحل/ ١٢٠)، صابر (انظر: التوبة/ ١١٤) حنيف

(انظر: النحل/ ١٢٣)، وتائب (انظر: هود/ ٧٥)، لم يخضع لخطر الشرك أبدًا (انظر: النحل/ ١٢٣). بعض الصفات مخصصة لإبراهيم في القرآن ولم تُستخدم للأنبياء الآخرين. القرآن الكريم يذكر في آيات عديدة منازلهُ وفضائلهُ العلمية والعملية، مثل الخلة، والصلاح، والخلافة، والرسالة، والإمامة. كما يتحدث عن تأسيس الكعبة، ودعوة الناس للحج، والدعاءات التي أدعى بها، وأيضا عن مواقفه من الشرك وكسر الأصنام واحتجاجه ضد المشركين. كانت قداسة إبراهيم (عليه السلام) إلى درجة أن أمة الإسلام أُمرت باتباعه: ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران/ ٩٥)، الذي هو في حد ذاته يعتبر دليلا واضحاً على ضرورة الاقتداء بسنته ودينه. وأيضًا ليجعلوه مكاناً لأداء الطواف بالكعبة: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة/ ١٢٥)، وهو بحد ذاته دليل واضح على اهتمام بحفظ هذا المكان وتبركوا بأداء الصلاة فيه (انظر: جوادي آملي، ٣٧٧)

ومن الواضح أيضًا أن النبي إبراهيم (عليه السلام) وصف بأنه حنيف ومسلم في سور مكية، مثل سورة الأنعام التي كل آياتها مكية (إلا قليلا منها) والتي تأمر النبي الأكرم (ص) قائلة: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (الأنعام/ ١٦١). وفي آيات أخرى، وصفه الله بأنه حنيف (انظر: الأنعام/ ٧٦ والنحل/ ١٢٠ و ١٢٣) فمن مقارنة آيات المكية والمدنية تظهر وحدة الرؤية القرآنية بشأن إبراهيم (عليه السلام) دون أي تناقض.

أما قول فنسنغ بأن النبي الأكرم (ص) سمى إبراهيم أبا العرب نتيجة ليأسه من اليهود، وصوّر قصة إسماعيل كوسيلة لبناء دين الإسلام،

فإنه غير صحيح من جوانب عدة:

أ) في التوراة، تُفصّل قصة هجرة هاجر وإسماعيل إلى فاران بالتفصيل (انظر: التكوين، ٢١: ٩-٢١). وحسب قول الباحثين، فاران هو المكان الحالي لمدينة مكة (انظر: خزائلي، ٦٨). لذلك، قبل أن يُظهر القرآن، سواءً في السور المكية أو المدنية، الصلة النسبية لإبراهيم بشعب العرب، أُطلق على إبراهيم لقب أبي العرب في العهد القديم.

ب) إذا كان يُفتَرَض أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) كان يقدر و يحترم إبراهيم بغية جلب العرب، كان الأفضل أن يقوم بهذا العمل فى مكة، حيث كان الناس الذين اعتبروا أنفسهم أحفاد إسماعيل يعيشون فيها.

ت) على الرغم من أن موضوع رفع أسس الكعبة قد تم ذكره في سورة البقرة التي هي من السور المدنية، إلا أن جذور الصلة بين كعبة إبراهيم (عليه السلام) وهجرته إلى تلك المنطقة برفقة زوجته وابنه وعدم وجود الزراعة والزرع في أرض مكة ودعائه لتنمية تلك الأرض وعمرانها، كانت من المواضيع التي قد شرحها و قرأها النبي الأكرم (ص) للناس في آيات سورة إبراهيم التي تعد من السور المكية (انظر إبراهيم/ ٣٥- ٣٧)

3-7.شبهة دلالة النسخ في القرآن تدل على التناقض.

يوسف درّة الحداد (١٩١٣-١٩٧٩م.) يعتبر وجود الآيات الناسخة والمنسوخة في القرآن دليلاً على تناقض في آيات القرآن. ويستند في هذا الشأن إلى قول ابن عربي الذي قال: "كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم منسوخ بآية السيف (التوبة/ ٢٩)" ويكتب: "عندما تأمر آية السيف المسلمين بمحاربة الكفار والمشركين، فإن ذلك يعتبر تناقضاً مع تلك الآيات التي تدعو المؤمنين

فيها إلى الصبر والتحمل في مواجهة الكفار (البقرة/ ١٠٩)" (درة الحداد، ١٩٨٢م: ٢٣٨)

الرد على الشبهة

نسخ في المصطلح يعني "رفع أمر ثابت في الشريعة بانقضاء زمانه (خويّي، ١٤١٨ق.: ٢٧٦). وفسّره العلامة الطباطبائي أيضاً بمعنى كشف نهاية أجل حكم معين (الطباطبائي، ١٣٩٧ق.، ج ١: ٢٤٩)

إذا اعتبرنا النسخ بمعنى إلغاء الحكم السابق بجميع خصوصياته، فإنه يُعد تناقضاً. في حين أن النسخ يعني إنها أجل الحكم الذي كان موقتاً من البداية، فإن تعارض الحكمين هو مجرد تعارض ظاهري ويُحل بالنظر إلى الزمن والمصلحة للحكمين، مع مراعاة أن تباين الأمور يعود إلى أحد أشكال التقابل (التضاد أو التناقض). وهناك ظروف خاصة للتقابل، أهمها الاتحاد في الزمان والمكان والطبيعة. لذا، الأمران الذان لا يجتمعان زمن واحد (ليس بينهما الاتحاد الزماني) ولهما طبيعتان مختلفتان، فلن يكون بينهما تضاد أو تناقض (انظر: مظفر، ١٤٠٠ق.: ١٦٧)

في النسخ، يكون زمن الحكمين مختلفًا. الحكم الأول مؤقت، والحكم الثاني يبدأ من وقت النسخ لحكم الأول حتى يوم القيامة، والله تعالى كان على علم بمؤقتية الحكم المنسوخ عند صدوره، وكان على قرار نسخه في المستقبل، ولكن لم يعلن مؤقتية الحكم المنسوخ بسبب المصالح. وعلى هذا الأساس، فإن الناسخ والمنسوخ في القرآن مثال على حكم يُعلن مؤقتًا وبعد انتهاء زمانه يُصدر حكماً جديداً. ومن الواضح أن في مثل هذه الظروف، لا يُصر أحد على تناقض الحكمين (انظر: مصباح يزدي، ١٣٧٦، ج ١: ١٦٢)

بالإضافة إلى ذلك، فإن مصلحة الحكمين الناسخ والمنسوخ

ليست متماثلة، لأن جميع الأحكام الشرعية مرتبطة بمعايير حقيقية مثل المصالح والمفاسد، وأي تغيير أو تحول فيها يعتمد على المصالح والمفاسد التي تتبعها. وفي هذا الصدد، لا فرق بين الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد؛ لأن إلغاء مبدأ الحكم أو بعض أفراد أو ظرف الحكم، يعتمد في النهاية على معاييرها الحقيقية من المصالح والمفاسد.

الحكم المنسوخ كان في زمانه ذات مصلحة تتطلب الحكم به، وبناءً على تلك المصلحة، كان الحكم المذكور مفيدًا وضروريًا. ولكن عندما تحل محلها مصلحة جديدة، يتم إلغاء الحكم الأول ووضع حكم جديد بناءً على المصلحة الجديدة. تمامًا مثل الطبيب الذي يوصي بنوعين من الأدوية في فترتين مختلفتين وفقاً لحالات المريض الصحية؛ لذا كل من المنسوخ والناسخ يكونان مفيدين وضروريين في إطار زمان ومصلحة خاصة، ونسبتهما من حيث الزمان والمصلحة هي نسبة التناسب وليست تباينًا. (انظر: طباطبائي، ١٣٩٧ق.، ج ١: ٦٥ وجوادي آملي، ١٣٧٨، ج ٦: ١٠٧)

٤. عدم مراعاة الأسس والقواعد التفسيرية

عبر مراقبة آثار المستشرقين الذين ادعوا وجود تناقض في آيات القرآن، يتضح أن العديد منهم اكتفوا بتحليل سطحي لمحتويات القرآن، أو حتى أنهم قاموا بتجزئة وفصل الآيات عن سياقها، دون أن يولوا الاهتمام اللازم إلى المناهج و القواعد التفسيرية بشكل صحيح.

النتائج

بناءً على الشبهات التي أثارها المستشرقون، يجب القول بأنه بغض النظر عن دوافعهم المعادية والعنيدة تجاه الإسلام والقرآن الكريم، فإن

الاستنتاج بعدم وجود تناقض بين الآيات يتطلب الانتباه إلى دراسة دقيقة لآيات القرآن. على الرغم من أن القرآن يدعونا إلى التدبر في آياته، إلا أن تطبيق هذه العملية يتطلب توضيح مفهوم التدبر وتحديد القواعد والمعايير المستندة إلى المنطق والأصول الدينية والمعرفة العقلية، والتي يشار إليها بأسماء مثل «منهج التفسير» أو «قواعد التفسير». بالتالي، إهمال هذه القواعد والمعايير في تفسير القرآن، وعدم مراعاة شروط التناقض، هي أحد الأسباب الرئيسة لاعتقاد المستشرقين بوجود تناقضات في القرآن. ونظرًا لعدم فهمهم الصحيح لتعريف التناقض، فإنهم يعدون أي تباين بين الآيات مصدرًا للتناقض، بينما يمكن أن يكون هذا التباين نتيجة لفروقات في النطاق أو الزمان أو الشرائط. لذلك، يجب أن نفهم أن الشبهات التي يثيرها المستشرقون لا تقوم على أساس علمي دقيق ومتأني.

المصادر والمراجع:

قرآن كريم.

١- الاندلسی، عبد الحق ابن‌عطيّه. (١٣٩٥ق.). المحرز الوجيز فی تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دارالكتب العلميّة.

٢- آرمسترانگ، كرن. (١٣٨٢). خداشناسی از ابراهيم تاكنون. ترجمة محسن سپهر. تهران: نشرمركز.

٣- البحرانی، ابن‌ميثم. (١٤١٢ق.). شرح نهج‌البلاغة. چاپ اوّل. بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

٤- البدوی، عبدالرّحمن. (١٣٨٨). دفاع از قرآن در برابر آرای خاورشناسان. ترجمة حسين سيّدی. مشهد: بەنشر.

٥- بوكای، موريس. (١٣٦٨). مقايسه‌ای ميان تورات، انجيل، قرآن و علم. ترجمة ذبيح‌الله دبير. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی.

٦- التفتازانی، سعدالدّين. (١٤٠٩ق.). شرح المقاصد. تحقيق دكتر عبدالرّحمن عميره. قم: انتشارات شريف رضي.

٧- جفري، آرتور. (١٣٧٢). واژه‌های دخيل در قرآن. ترجمة فريدون بدره‌ای. تهران: انتشارات توس.

٨- جوادي الآملي، عبدالله. (١٣٨٧). تسنيم. چاپ اوّل. قم: مركز نشر إسراء.

٩- جولدسيهر، ايجناس. (١٤١٣ق.). مذهب التّفسير الإسلامی. بيروت: دار إقرأ.

١٠- جولدسيهر، إيجناس. (١٩٩٢ م.). العقيدةوالشّريعة فی الإسلام. ترجمة محمّد يوسف موسى و ديگران. بيروت: دار الرّائد العربی.

١١- الخوئي، السيّد أبوالقاسم. (١٤١٨ق.). البيان فی تفسير القرآن.

قم: دارالثّقلين.
١٢- درّه حدّاد، يوسف. (١٩٨٢م.). نظم القرآن و الكتاب «المعجزة قرآن». بيروت: منشورات المكتبة البولسيّة.
١٣- الذهبى، محمّدبن أحمد. (١٤٠٨ق.). معرفة القرّاء الكبار على الطّبقات و الأعصار. بيروت: مؤسّسة الرّسالة.
١٤- الرازى، حسين‌بن على. (١٣٦٢). روض الجنان و روح الجنان فى تفسير القرآن. مشهد: بنياد پژوهش‌هاى اسلامى آستان قدس رضوى.
١٥- الرازى، فخرالدّين. (١٤٢٠ق.). مفاتيح الغيب. بيروت: دار احياء التّراث العربى.
١٦- راغب الأصفهانى، ابوالقاسم حسين. (١٤١٦ق.). مفردات الفاظ القرآن. با تحقيق صفوان عدنان داوودى. بيروت: دار الشّامى.
١٧- راميار، محمود. (١٣٤٦). تاريخ قرآن. تهران: انديشه.
١٨- الزحيلى، وهبةبن مصطفى. (١٤١٨ق.). التّفسير المنير فى العقيدة و الشّريعة و المنهج. بيروت ـ دمشق: دار الفكر المعاصر.
١٩- الزرقانى، محمّد عبدالعظيم. (١٤٠٨ق.). مناهل العرفان فى علوم القرآن. بيروت: دار الفكر.
٢٠- الزركشى، بدرالدّين محمّد. (١٤٠٨ق.). البرهان فى علوم القرآن. بيروت: دارالفكر.
٢١- السيوطى، جلال‌الدّين. (١٤٠٤ق.). درّ المنثور فى تفسير المأثور. قم: كتابخانة آيت‌الله مرعشى نجفى.
٢٢- السيوطى، جلال‌الدّين. (بى‌تا). الإتقان فى علوم القرآن. بى‌جا: منشورات الشّريف رضى.
٢٣- شراره، عبدالجّبار.

(١٤١٦ق.). بحوث فى القرآن الكريم (نظرات جديدة). قم: جماعة المدرّسين ـ مؤسّسة النّشر الإسلامى.

٢٤- الشيرازي صدرا، محمّدبن إبراهيم. (١٣٦٦). تفسير القرآن الكريم. قم: انتشارات بيدار.

٢٥- صادقى، محمّد. (١٣٨٨). البشارات والمقارنات. نجف: مطبعة الغرى.

٢٦- صالح، صبحى. (١٩٦٨م.). مباحث فى علوم القرآن. بيروت: دارالعلم للملايين.

٢٧- الطباطبائى، محمّدحسين. (١٣٦٢). إعجاز قرآن. تهران: مركز نشر فرهنگى رجاء.

٢٨- الطباطبائى، محمّدحسين. (١٣٩٧ق.). الميزان فى تفسير القرآن. تهران: دار الكتب الإسلاميّة.

٢٩- الطبرسى، فضل‌بن حسن. (١٣٧٩ق.). مجمع البيان فى تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

٣٠- الطبري، محمّدبن جرير. (١٤١٢ق.). جامع البيان فى تفسير القرآن.بيروت:دار المعرفة.

٣١- الطوسي، أبوجعفر محمّد. (١٤٠٩ق.). التّبيان فى تفسير القرآن. قم: مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٢- العاملي، جعفر مرتضي. (١٤١٠ق.). حقائق هامّة حول القرآن الكريم. قم: مؤسّسة النّشر الإسلامي.

٣٣- عناية، غازي. (٢٠٠٢). شبهات حول القرآن و تفنيدها. بيروت: دار مكتبة الهلال.

٣٤- عهدين (كتب مقدّس). (١٣٨٠). تهران: انجمن كتاب مقدّس ايران.

٣٥- فراهيدي، خليل‌بن احمد.

(١٤١٠ق.). كتاب العين. قم: هجرت.

٣٦- القرطبي، محمّدبن أَحمد. (١٤١٦ق.). الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار إِحياء التّراث العربى.

٣٧- الكاشانى فيض، ملاّمحسن. (١٤١٥ق.). تفسير الصّافي. تهران: انتشارات الصّدر.

٣٨- الكليني، محمّدبن يعقوب. (١٣٦٥). الكافي. چاپ چهارم. تهران: دار الكتب الإسلاميّة.

٣٩- المجلسي، محمّدباقر. (١٣٧٦ق.). بحار الأنوار. تهران: دار الكتب الإسلاميّة.

٤٠- مصباح يزدي، محمّدتقي. (١٣٧٦). قرآن‌شناسي. با تحقيق و نگارش محمود رجبي. قم: مؤسّسة آموزشى و پژوهشى إِمام خميني(ره).

٤١- مظفّر، محمّدرضا. (١٤٠٠ق.). المنطق. بيروت: دار التّعارف.

٤٢- معرفة، محمّدهادى. (١٣٧٥). تاريخ قرآن. تهران: سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم إِنساني دانشگاه‌ها (سمت).

٤٣- معرفة، محمّدهادى. (١٣٨٨). نقد شبهات پيرامون قرآن كريم. ترجمة حسن حكيم‌باشى و همكاران. قم: مؤسّسة فرهنگى تمهيد.

٤٤- معرفة، محمّد هادي. (١٤١١ق.). التّمهيد فى علوم القرآن. چاپ اوّل. قم: مؤسّسة النّشر الإسلام.

٤٥- مكارم الشيرازي، ناصر و ديگران. (١٣٧٤). تفسير نمونه. تهران: دارالكتب الإسلاميّة.

٤٦- نولدكه، تئودور. (٢٠٠٤ م.). تاريخ القرآن. بيروت: دارالنّشر.

٤٧- McAuliffe Jane Dammen. (General editor). (٢٠٠١-٢٠٠٦).

Encyclopaedia of the quran (eq). Leiden: brill .Hirschfeld hartwig -٤٨ New researches of quran. London: Royal asiatis society .(١٩٠٢)

asiatis societyHirschfeld Encyclopaedia of the .quran (eq). Leiden: brill .hartwig .(١٩٠٢) New researches of quran. London: Royal asiatis .society